

دور المدرسة في تحقيق الاندماج الاجتماعي التحول الثقافي ليهود الجزائر نموذجا

د/ عبد القادر كركار/ قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمه لخضر

الملخص

تتطرق هذه الدراسة إلى الدور الاستراتيجي للعملية التعليمية في تنشئة الاجيال وأثرها في التحول الاجتماعي عبر الزمن، من خلال نموذج التحول الاجتماعي ليهود الجزائر الذين تحولوا من أهالي أفارقة ينتمون للضفة الجنوبية للبحر المتوسط قبل 1830، إلى فرنسيين أروبيين منتمين للضفة الشمالية للمتوسط في 1962، وكيف كان للمدرسة دور في هذا التحول، من خلال التركيز على تعليم اللغة الفرنسية بدل العربية، وتعليم البرامج الفرنسية الخالصة، وكيف تجاوب يهود الجزائر مع هذه التحولات، وكان ظهور النتائج على المدى البعيد حيث كان التحول بطيئاً لكنه ثابت عبر الزمن وتعاقب الاجيال، وهنا تبرز أهمية المنظومة التربوية والمدرسة في الوسط الاجتماعي ودورها الهام في عملية تحقيق مشروع مجتمع وتوجهاته.

Abstract :

This study addresses the strategic role of the educational process in the upbringing of generations And their impact on social transformation through time ،Through a form of social transformation for the Jews of Algeria Who converted from people of South Mediterranean Sea by 1830 ،to Frenchs Europeans belong to the northern bank of the Mediterranean in 1962، And how was the school's role in this transformation. By

focusing on the education of the French language instead of Arabic and French special education programs How the Jews of Algeria responded with these transformations It was the emergence of long-term outcomes, where he was a slow transformation But steady progression through time and generations And hence the importance of the school in the social milieu And its important role in the process of achieving community project and orientations.

دور المدرسة في تحقيق الاندماج الاجتماعي التحول الثقافي ليهود الجزائر نموذجا

في مسار التطور التاريخي للمجتمعات عبر الزمن تشهد فئاتها المختلفة تحولات متنوعة تكون نتاج تفاعل مع ظروف داخلية وأخرى تمثل مؤثرات خارجية تتجاوب معها الفئة الاجتماعية التي ترى فيها نموذجا صالحا لمشروع المجتمع الذي تروم الانتماء إليه.

ومثل هذه الحالة نجدها في المجتمع الجزائري الذي عرف صدمة حضارية مع نزول القوات الفرنسية في البلاد ومن بعدها نزول القرارات المتلاحقة والتي كانت في مجملها تسعى لربط الجزائر بفرنسا غير أن مقاومة السكان جعل فرنسا تركز على فئة منهم، والذين هم اليهود الذين رأوا فيهم أنهم على استعداد أكثر لتقبل حضارتها والاندماج في المجتمع الفرنسي على غرار ما كان عليه الأمر بالنسبة ليهود فرنسا منذ عقود سابقة.

ولعل من أبرز وسائل فرنسا لتحقيق اندماج اليهود في مجتمعها كان أليات ركزت عليها ويمكن من خلالها الوصول إلى أوسع شريحة من المجتمع، وتتمثل في ما يمكن أن

يجمع أكبر عدد من العامة والنشء بشكل منتظم ولا أحسن في هذه النوعية من مكان العبادة والمدرسة فبدأت العملية منذ الايام الاولى للإحتلال.

فقد كانت المدرسة الآلية الهامة ذات المدى البعيد لفرنسة اليهود وإدماجهم، فمن خلالها يمكن تغيير الذهنيات إستعدادا لتقبل التحول الحضاري.

بدايات التعليم الفرنسي لليهود بين التقبل والمقاومة

في سياق المسار نحو الاندماج، وجهت الجهود الأولى للتعليم ببناء مدارس يديرها الحاخامات في المعابد ثم إقترح جلب حاخامات متخرجين من المدرسة الحاخامية في ميتز Metz إلى الجزائر يعرفون ((الفرنسية والعبرية والعربية))¹ لتحقيق إتصال أفضل.

فالحاخامات المحليون كانوا دون المستوى حسب نظام اليهودية الفرنسية (يتكلمون العبرية ويكتبون بها وبالعبرية)، ثم طلب من الكل أن يلبسوا الزي الأوروبي يتكلمون اللغة الفرنسية ويصلحون من عاداتهم العامة والخاصة، وأخيرا أن ينخرطوا في الميليشيا الإفريقية و للوصول لهذه الغايات وضعت اليهودية الفرنسية تحت وصايتها اليهودية الجزائرية².

فمن خلال التعليم يمكن تغيير الذهنيات لتقبل التغيرات والنتيجة تكون مع مر الزمن عبر الأجيال، فالثمار لا تكون عاجلة وإنما آجلة حيث تبرز التغيرات مع مرور الزمن وتعاقب الاجيال وقد كان اليهود في البداية متحفظين كالمسلمين من إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، إذ كان هدف الفرنسيين هو نشر اللغة الفرنسية بين أطفال المسلمين واليهود ويقول جان ميرانت أن الفرنسيين لم يتمكنوا من جمع التلاميذ المسلمين واليهود عند معلم واحد مسلم أو يهودي للعداء الذي كان بينهم وهو عداء ربما كان

في ذهن الفرنسيين فقط حسب الدكتور سعد الله³ فالتعليم كان مرتبطاً بإرتباط وثيق بالدين حسب ذهنيات الفترة وبالتالي كان كل طرف يخشى على دينه.

كما أن الجزائر لم تشهد موجة عداة مقنن ومدعم بإيديولوجيات مثلما شهدته في العهد الفرنسي من طرف الفرنسيين أنفسهم وما كان يحدث من إنتفاضات ضد اليهود قبل الاحتلال الفرنسي إنما كان ردود فعل شعبية إنتقامية نتيجة تراكمات ممارسات وسلوكات سلبية.

وأمام هذا الوضع لجاء الفرنسيون إلى ما أسموه المدارس الخاصة أي مدرسة فرنسية للمسلمين، ومثلها لليهود، ونظراً للتقارب الجديد بين الفرنسيين واليهود فإن أول مدرسة فرنسية لليهود كانت في العاصمة سنة 1832،⁴ أي منذ السنوات الأولى للإحتلال بدعم من أثرياء يهود العاصمة.

وقد كانت إدارتها ليهودي فرنسي حتى يأخذ بيد بني ملته في إفريقيا ولا يتركهم للحاخامات المتعصبون حسبهم⁵ بإعتبارهم عائق أمام تحقيق الهدف المنشود نشر الحضارة الفرنسية أسوة بنظرائهم في فرنسا.

بينما لم تنشأ المدرسة الموجهة للمسلمين (الحضر) سوى سنة 1836 في الوقت الذي إستحدث الفرنسيون فيه مدرسة لبنات اليهود⁶ ضمت 20 بنتاً⁷ في بداياتها في شارع الالوان الثلاث⁸ وبذلك نرى تأخر النشاط الموجه لتعليم المسلمين مقارنة باليهود الذين كانوا أحسن حضوة لدى السلطات الفرنسية في الجزائر وفرنسا عامة.

ثم في سنة 1855 إستحدثوا معهدين (متوسطين) في العاصمة وأما في وهران فأول مدرسة فرنسية لليهود (البنين) كانت سنة 1833 وفي عنابة 1839⁹.

وقد أقبل اليهود على التعليم الممنوح بكل أشكاله ففي 1858 درس حوالي 1704 ولد وبنت يهودي¹⁰ في هذه المدارس كانوا طبعاً من سكان المدن .

وفي المقابل كانت جهود التعليم تولى عناية من أعلى مستوى فأمرية سان كلو 1848. اخذت على عاتقها تعليم الشباب (الإسرائيليين) بما في ذلك التكوين الديني¹¹ حيث تكفلت الإدارة الفرنسية بمنح أماكن الملاجئ اليهودية وإنشاء المدارس للبنين، وكانت تعتمد على المعونات المقدمة للجمعيات الدينية وعلى ما يدفعه الأطفال أنفسهم ثم المساعدات الحكومية¹² التي تكفلت بها الدولة وكل ذلك من أجل المساهمة الفعالة في مسار الدمج في المجتمع الفرنسي، وربط الناشئة اليهودية بحضارتها وثقافتها الأوربية الدخيلة على البلاد.

وقد وضعت هذه المنشآت تحت رقابة الإدارة الفرنسية ولكنها كانت تستشير الجمعيات الدينية لليهود وهي السلطات الروحية (الكونزستورات) فيما يتعلق بتعيين أو عزل المعلمين، وإجراءات الانضباط، وما يتعلق بمواد الدراسة، ولجان المدارس والمعلمين¹³.

كما إهتمت السلطات الفرنسية بالملاجئ الدينية اليهودية فعلاوة على عدم المساس بها كما جاء في شكاية حمدان خوجة فالمعبد اليهودي بتلمسان على سبيل المثال تم إصلاحه بعد وصول الفرنسيين وتعرضه لبعض التخريب بنفقات الحكومة ، وأقيم معبد آخر في نفس الحي من طرف الحاخام صامويل ابن واب وهو ما يشير إلى أن الطائفة اليهودية في المدينة كانت تكبر دائما¹⁴ وتأثيرها يزداد أكثر.

وقد تعددت القاعات الدراسية والمدارس و إتخذت في الغالب تسميات يهودية كمدرسة البنات الإسرائيليات كوهين سولال المدارة من طرف الأنسة كريسكريس أو المأوى الإسرائيلي حايم كوهين سولال حيث يذكر أنطوان لامي عدد منها والخطابات التي ألقاها في إحتفالاتها¹⁵ في مؤلفه.

و كانت المدارس اليهودية متنوعة من حيث البرامج، وقد ترك لليهود فيها ما خص عقيدتهم، فكان المعلمين اليهود يتكفلون بالمواد الدينية، أما المعلمون الفرنسيون فيتكفلون بتعليم القراءة والكتابة والحساب واللغة الفرنسية¹⁶ وعموما لم يكن البنين اليهود يواضبون على الدراسة لأكثر من سنتين كما جاء في تقرير رسمي أجرته الإدارة الفرنسية سنة 1843 ، فقد لوحظ أنهم بمجرد تعلم المواد التي يدرسها الفرنسيون كالقراءة والكتابة والحساب يغادرون المدرسة¹⁷ حيث بذلك يكونون قد نالوا ما كان ينقصهم من علوم حتى أنه وصل الأمر إلى أن طالب أحد المعلمين بإغلاق مدرسة وهران سنة 1865 لأن التلاميذ لا يقدمون صورة صحيحة عن المدرسة¹⁸ وهو ما يدل على فشلها في تحقيق الهدف الاول حينذاك.

وفي نفس الإتجاه كان رأي بعض المسؤولين فهم يرون أن ((بالنسبة لليهود أن يتعلموا أولا فإن تأثيرهم في البلد صغير)) وهو رأي الكونت غيوت Conte Guyot الذي خلف جانتي دي بوسي في إدارة التعليم في الجزائر سنة 1833¹⁹ وهذا الحال هو ما جعل الأمر يبدو كنوع من الرفض للمدرسة الفرنسية حسب ما توردته إيفون توران في كتابها على إعتبار أن (الطائفة اليهودية تعاملت مع فرنسا بنفس الحذر والرفض فهم يرفضون المدرسة الفرنسية كالعرب)²⁰ .

والمقصود بالأساس هو المدرسة الفرنسية اليهودية أي الموجهة لليهود الموازية للمدرسة الفرنسية الموجهة لأبناء العرب لكن من خلال الملاحظة الدقيقة نجد بالمقابل الأمر كان العكس بالنسبة للمدرسة الفرنسية للتعليم المشترك والتي كانت موجهة لأبناء الفرنسيين أساساً.

وقد لاحظ الفرنسيون ذلك حيث أن التلاميذ يفضلون المدارس الفرنسية وهم (أي الفرنسيون) يسمونها مدارس التعليم المشترك (موتويل) فقد كان التلاميذ اليهود في هذه المدارس أكثر من المدارس المسماة المدارس الخاصة باليهود سواء في ذلك البنون أو البنات²¹ وهذا راجع إلى نوعية التعليم المقدم كما وأنها تقرهم أكثر من الفرنسيين من أن لو يدرسوا في المدارس الخاصة بهم حتى وإن كانت فرنسية الطابع، فالمدرسة الفرنسية الخاصة (مدرسة التعليم المشترك) عرفت نجاحاً في أوساطهم وتزايد في عدد مرتاديهما فقد ضمت 50 في 1832 و 70 في العام الموالي²² وحسب بعض الإحصائيات كانت مدارس التعليم العمومية الفرنسية تضم بشكل عام 145 طفلاً و 85 طفلة من اليهود سنة 1838، حوالي نصف العدد كان في المدارس اليهودية (أو الخاصة) بنين وبنات وكان إحصاء 1863 قد أثبت وجود 2973 تلميذاً يهودياً في التعليم العمومي الفرنسي منهم 597 تلميذة²³ وهم بذلك يرفضون التمييز ويقبلون على التعليم الفرنسي المحض.

لكن هذا الحكم لا يجب أن نعتمده فيهود المناطق الداخلية والطبقات الفقيرة كان على غير هذا التوجه، فالاطفال اليهود يفضلون المدرشيم (اليهودية الخاصة) أو مدارس التعليم المشترك التي تفتح أمامهم أفق المستقبل أما المدرسة اليهودية (الفرنسية)

فلا يتجاوز عدد تلاميذها 40 تلميذا²⁴ وهو ما جعل يبدو نوع من النفور والرفض للمدرسة الفرنسية - اليهودية كما سبق الإشارة إليه.

وإستمر التزايد في سنوات لاحقة مما يدل على نجاحها في أوساط اليهود وإن بقيت بعض المقاومة من طرف الأوساط المحافظة المتشبثة بالأصول والتي تخندقت حول المدارس الربانية (المدراشيم) اليهودية الخالصة.

غير أن الإدارة الفرنسية كانت تبحث عن إختفاء المدارس الربانية التي كانت تشكل منافس لمدارسها الخاصة باليهود والتي أنشئتها لهم وليس بمدارس التعليم المشترك، ففي كل مكان تضاعف مدارس الذكور بمدارس للإناث بما في ذلك مديرات إسرائيليات²⁵.

فالمدراس الربانية كانت ذات طابع ديني تسمى بالعبرية مدراشيم ذات تعليم ومعلمين يهود محليين وقد بدأ تنظيم المدراشيم اليهودية في 1846 وفق الأمرية الملكية لـ 9 نوفمبر²⁶ وهي منتشرة حيث يوجد اليهود فكل طائفة يهودية عندما يكبر حجمها يجب أن يكون لها مدرسة إجبارية لتعليم الاطفال منذ عمر 5 سنوات أو 6 وأحيانا أطفال أقل عمر يمكنهم الحضور، وتعطى الدروس أحيانا في الشنوعة و احيانا في منزل المدرس و الاطفال فقط من يذهبون للمدرسة²⁷ فقد كانت ذات طابع تقليدي محض، فكان على الأولاد اليهود أن يحفظوا التوراة كما يحفظ المسلمون القرآن الكريم وهم يستعملون معهم طريقة الضرب أحيانا وبعد ذلك عليهم بحفظ التلمود²⁸.

في حين كانت المرأة عندهم لا تتعلم - بل الرجل فقط من يتعلم - ولكنها حرة في دخول البيعة²⁹ أو الشنوعة وممارسة باقي الشعائر الدينية، وعموما كان إقبال أطفال اليهود على التعليم أكبر من أطفال المسلمين.

ومنذ 1839 أجرت الحكومة دراسة جدية لهذه المسألة فالجزائر العاصمة كانت تعد 12 مدرسة يهودية (دينية) بـ 385 طفل³⁰ في 1842 ما كان يشكل إزعاجا لجهود فرنسة التعليم اليهودي بالنسبة للسلطات الفرنسية حتى أننا نجد في 1865 طلب من مدير المدرسة اليهودية الفرنسية لوهران من الادارة بغلاق المدارس لئلا تقوم بالتشويش على مدرسته³¹ وتسبب ذلك في قلق فرنسي.

وقد إعتبرت المدرسة اليهودية في وهران المدارة من طرف بن عيون في 1855 كمركز للتطرف ومعاكسة للمدرسة البلدية³² إلا أنه في 1854 سواء في وهران تلمسان، مستغانم، عنابة أو قسنطينة رأى الريانيين مدارسهم تتحول إلى دور حضانة فقط للصغار جدا³³ و خسرت الاتحاد الإسرائيلي تلاميذه لصالح التعليم اللائكي ولم يعد المراهقون يهتمون بالتوراة والتلمود في وقت متأخر³⁴ وأصبحوا يرتادون المدارس الحكومية المختلفة حيث بلغ عدد أطفال اليهود في الابتدائي 683 تلميذا ولم يتجاوز عدد المسلمين في كل المناطق 417³⁵ وبالتدريج كان العمل ثابت ومركز بإستثناء المسلمين.

وقد عرفت سنة 1860 قيام أول امرأة يهودية بالتدريس في مدرسة يهودية حديثة كما حاز بعض الشباب اليهود على شهادة البكالوريا سنة 1861 لأول مرة و إنخرطوا بعدها في الدراسات العليا³⁶.

التحول اللغوي ونتائجه

وعليه نجد أن المدرسة الفرنسية المرفوضة للجزائريين تفتتح أكثر فأكثر لأطفال الأجانب لنزع الحواجز³⁷ فاليهود عموماً لم تكن لهم عقدة كالمسلمين عندئذ من الحضارة الأوروبية (حسب الفرنسيين)، فكان ذلك عاملاً مساعداً لهم على الاندماج في الحياة الفكرية لكن ومع ذلك كانوا يتعاملون بالعربية مع الجزائريين وحتى مع أنفسهم وقلما يستعملون العبرية بل وكانوا يعضون اليهود بالعربية أيضاً في بعض المناسبات³⁸ الدينية فقد كانوا يتمتعون بمرونة لغوية إن صح التعبير وتكيف عجيب.

وفي هذا السياق نلاحظ تأثير المدرسة في التحول اللغوي فقد لعبت المدرسة دوراً في تراجع اللغة العربية بحيث كان يتردد عليها اليهود بكثافة خاصة الإبتدائية حيث العربية محرومة بينما المدرسة تأخذ من الطفل أكبر وقته من اليوم تفرض عليه بسرعة الفرنسية التي تبقى لغة وحيدة له أي في وقته، فأخذت اللغة الفرنسية تحتل حيزاً في الحياة الاجتماعية على حساب اللغة العربية .

وإن كان مارسيل كوهين يشير إلى أن ((هناك جزء كبير يستعمل حالياً اللغتين)) أي في بداية القرن العشرين فأحياناً إستعمال اللغة يكون حسب الظروف حيث الإنتقال في الحديث من لغة لأخرى فجأة والعودة للأولى (من جملة لجملة ومن كلمة لكلمة) ميزة الكلام اليهودي في الجزائر العاصمة أنه (العربي) يكتب لكن بحروف غير عربية³⁹.

وقد كان اليهود يتكلمون عربية مكسرة أدخلت فيها الكثير من الكلمات الفرنسية تشابه مع كلام الجنود الأهالي التاركو والصبايحية الذين هم أيضاً كانوا في حاجة إلى تخيل كلمات لجعل كل شئ لم يكن يوجد في تعابير لغتهم⁴⁰ شئياً ذا إسم حسب الحاجة إلى تواصل لغوي مع الغير .

وهذا نتاج الإحتكاك بالواقع اللغوي الجديد الذي يفرض التعامل معه وبالتالي التكيف مع الظرف فبعض الأحيان يستعملون كلمات عبرية في لغتهم لكنهم لا يفعلونها إلا عندما يريدون إخفاء شئ عن المسلمين الذين يحيطون بهم فهم كلهم على كل حال يعرفون اللغة الفرنسية⁴¹ حسب ما يورد هوداس في كتابه بل وحتى الإسبانية في مقاطعة وهران والتي تعودوا عليها وهذه السهولة لتكلم عدة لغات أعطتهم أفضلية على الأهالي و الأوروبيين لمدة طويلة⁴² فالعبرية هي العمق الإستراتيجي الذي يجمعهم ويحميهم من الغراء والفرنسية والعربية هي الواجهة والوسيلة ومع مرور الوقت وبالتوازي مع الحركة التعليمية فاللغة العبرية لم تعد تدرس من الجيل اليهودي الجديد و تأول الكتابة من يوم ليوم للزوال فكل اليهود أصبحوا يقرأون الفرنسية ويكتبون بها⁴³ فإحتلت مكانة هامة في لسانهم اليومي.

وبذلك أخذوا يفقدون هذا الأصل كما أن التنظيمات أقرت إجبارية اللغة الفرنسية للمدارس الدينية الخاصة باليهود⁴⁴ وبذلك أصبحت اللغتين العربية والعبرية تحاصران حتى فيما هو خاص باليهود من طرف الفرنسيين كما أن الرغبة في تظاهر الأطفال بجهل العربية تثبت أن التراجع مستمر⁴⁵، والامر يمثل ظاهرة إجتماعية أشار إليها مؤسس علم الاجتماع العلامة عبد الرحمان ابن خلدون حيث أن المغلوب مولع بتقليد الغالب.

ويبدو أن ذلك كان رائج بالأساس لرغبة في إظهار تفوقهم في الدراسة والتعليم والتي كانت الفرنسية من مظاهرها البارزة والأساسية وبذلك⁴⁶ فهم لا يستطيعون الكلام بالعربية إلا في منازلهم فكانت حركة فرنسة من جهة وتجاوب للفرنس من جهة أخرى.

. ففي العائلة اليهودية نجد الأجداد يتكلمون العربية بينهم ومع ابنائهم حيث منهم من يعرف قليلا من الفرنسية أولا يعرفها، أما الأباء فهم جيل متوسط مزدوجي اللغة يستعملون عادة العربية التي كانت لغتهم العائلية إلى جانب الفرنسية التي أخذوها في المدرسة لكن الكلام الذي يعلمونه لأبنائهم هو الفرنسية وحدها، وعادات الأطفال لا يعرفون العربية وهم بالنتيجة عاجزين على التحدث مع أجدادهم⁴⁷،⁴⁸ وهذا في بداية القرن العشرين وعليه فاللغة العربية حلت محلها اللغة الفرنسية في ألسنة الأحفاد وكان الإنسلاخ عن المحيط الاجتماعي المحلي تدريجي عبر الأجيال، ولم تعد اللغة العربية بين اليهود متداولة إلا في الأوساط المحافظة أو في المناطق العتيقة كوسط المدينة القديمة للجزائر حيث يتاجر اليهود مع العرب فحافظوا على العربية⁴⁹ للتواصل مع زبائنهم وهو ما مثل أفضلية البائع اليهودي على الأوروبي، حيث أنه يتعامل مباشرة مع الأهالي⁵⁰ إلى جانب المناطق أين يكتض المهاجرون المغاربة وأخرون الذين لا يعرفون الفرنسية بعد⁵¹ من الوافدين الجدد.

أما اليهود المغاربة فكانوا يتأقلمون ببطء لأنهم يفدون إلى البلاد وهم يجهلون اللغة الفرنسية⁵² ومنذ 1876 تراجع استعمال اليهودية - العربية ، وفي 1896 كانت مناقشات إنتخاب أعضاء الكونزستوار تتم بالفرنسية⁵³ .

وقد جرت هذه التغيرات حتى إلى تغيير في طريقة اللباس فالبدلة الأصلية أصبحت نادرة ((وستختفي قبل أجل، والعادات كالزواج حسب الطريقة القديمة هي في تراجع أيضا)) حسب مارسيل كوهين.⁵⁴ في بدايات القرن العشرين.

وعلى كل فقد تمكن اليهود من الإندماج في بوتقة الثقافة الفرنسية، وتشريبهم الحضارة الغربية في فترة قصيرة لم يكن ممكن لولا سلسلة القرارات المتعاقبة التي سنها

الفرنسيون قصد تسهيل إدماجهم وتشملهم تلك الجهود المضنية التي بذلها يهود فرنسا بالتنسيق مع زعماء اليهود بالجزائر بتقديم المساعدات المالية والتطوع للتعليم في المدارس بالجزائر⁵⁵.

ففي سنة 1845 حصل السيد Altaras رئيس كونزستوار مارسييليا و J Cohen من وزير الحرب الماريشال دوق دالماشيا أمر بالقيام بمهمة للإستعلام حول التحسينات المقدمة لأحوال مواطنيهم ولتعليمهم⁵⁶ وهو ما يبرز مدى الإهتمام الذي كان يوليه يهود فرنسا لإخوانهم في الجزائر للأخذ بيدهم نحو الفرنسية إلى جانب الدعم المادي والمعنوي من أطراف خارجية متنفذة كأل روتشيلد⁵⁷ فنجد مثلا . في شنوغة شارع Scipion أقيم حفل خصص للمدارس اليهودية برئاسة السيد كوهين الذي ألقى خطابه (بالفرنسية ، العربية والعبرية) بإسم عائلة روتشيلد وقدم للخمس الأوائل 5 دفاتر صناديق التوفير⁵⁸.

وعموما لم تختفي اللغة العربية تماما فبقيت بعض أثارها في منطوقهم فحتى بعد قرار التجنيس واصل اليهود التحدث فيما بينهم بالمنطوق يهودي - عربي مغربي .

فقد كانوا (بإستثناء الشباب الذين تفرنسوا) يستعملون الصبير لغة فرنكا بقاعدة فرنسية أين تتداخل كلمات عربية إسبانية إيطالية وقد كان قريب من الفرنسية.

كما أن النطق اليهودي وخاصة le zezaiement كان يعتبر الأكثر إنحطاط وسخافة ومحل سخرية⁵⁹ من طرف الأوروبيين، وبذلك نجد أنه بفضل المدرسة الإجبارية، إنفصلت الطائفة اليهودية عن قربها من المحيط الاجتماعي العربي وتخلت شئئ فشيئ عن

تقاليدها الأسرية واللباسية وطريقة سكنها وحتى أستعمال اللغة العربية⁶⁰ كلغة تخاطب وتعامل يومي لصالح اللغة الفرنسية .

وكان للمدرسة بكل أنواعها دور في التحول السوسيوثقافي حيث أن أحد الكتاب قال ((مدارس الرابطة الإسرائيلية⁶¹ العامة بالمدن الكبرى بالجزائر هي التي غرست في قلوب اليهود بالجزائر حب الحضارة الغربية والتعلق بها))⁶²

فالفرنسيون بدعوى حملهم لرسالة الحضارة واليهود منهم كان لهم هدف ملخص في عبارة ((هؤلاء اليهود يجب ان نعلمهم حب فرنسا))⁶³ .

ولعل من النتائج البعيدة لحركة الفرنسة الثقافية هذه ما يلخصها الجدول التالي لهجرة اليهود المغاربة في الخارج⁶⁴

الأصل	المكان فرنسا	فلسطين(كيان إسرائيل)	كندا
المغرب	18%	82,5%	92,6%
تونس	26,9%	11,7%	5,1%
الجزائر	55,2%	5,8%	2,2%

فنجد 55% من اليهود ذوي الأصول المغاربة في فرنسا وفدوا من الجزائر في حين فهم لا يشكلون إلا نسب قليلة من المستقرين في ارض فلسطين وفي كندا عكس يهود المغرب الأقصى وتونس فالتحول والربط لم يكن إداري فقط وإنما ثقافي، إجتماعي وحضاري أيضا فكان مصيري بالنسبة لهم والنتيجة البعيدة يقرها الجدول، فكان لقرار كريميو أثار بعيدة المدى على مستقبل يهود الجزائر⁶⁵ حتى أنه حسب شوراقي أصبحوا

دون إنتماء واضح حين يقول ((يهود الجزائر اليهود الأكثر شرقيين بين الغربيين، والأكثر غربيين بين الشرقيين))⁶⁶ .

خاتمة

من خلال ما سبق يبرز لنا الدور الاستراتيجي للعملية التعليمية في تنشئة الاجيال وفق توجه معين وما أفرزه ذلك من تحول اجتماعي عبر الزمن، من خلال النموذج التاريخي المتمثل في التجربة الفرنسية في الجزائر على يهودها حيث كان للمدرسة دور محوري في تحقيق هذا التحول، من خلال التركيز على تلقين الثقافة واللغة الفرنسية بدل العربية، وقد لقيت تجاوب من طرف يهود الجزائر مع العملية حيث رفضوا المدرسة الموجهة إليهم وإرتقوا في حضن المدرسة الفرنسية.

وكان ظهور نتائج هذا السلوك على المدى الطويل حيث كان التحول بطيء لكنه ثابت عبر مرور الزمن وتعاقب الاجيال، وهنا تبرز الأهمية الاستراتيجية للمدرسة في الوسط الاجتماعي ودورها الهام في إنجاح عملية تحقيق مشروع المجتمع وتوجهاته الثقافية والحضارية. وكانت النتيجة ذاك التحول التاريخي ليهود الجزائر الأهالي الأفارقة المنتمين للضفة الجنوبية للبحر المتوسط قبل 1830، إلى فرنسيين أروبيين منتمين للضفة الشمالية للمتوسط في 1962، فإقتلعوا من جذورهم الافريقية وتلونوا بصبغة أروبية.

¹ Jean Laloum et autres . les juifs d'Algérie image's et textes.
Paris: éditions des scribe 1987 p17

² IBID, p17

³ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954، ص 395

⁴ أبو القاسم، سعد الله، المرجع نفسه ص395

⁵ Jeannine verdes Leroux les français d'Algérie de 1830 a aujourd'hui une page d'histoire déchire. France : fayard 2001p 214

⁶ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ، ص395

⁷ - Eliaou Gaston Guedj l'enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation 1832-1962. Paris :Editions des Ecrivains ,2000 p54

⁸ Henri - Klein . l'enseignement a Alger depuis la conquête, souvenirs Fontana frères p9

⁹ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس ص395

¹⁰ - Jeannine verdes Leroux. Op,Cit, p 214

¹¹ - Messaouda _ Merabet Yahiaoui Société Musulmane et Communautés Européennes Dans L'Algérie Du XX em siècle réalités, idéologies, mythes et stéréotypes 1898 – 1960 éditions Houma 2005.p174

¹² أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس ص396

¹³ أبو القاسم، سعد الله، المرجع نفسه ص396

¹⁴ - Revue Africaine n14 1870 OPU Alger 1985 p3

¹⁵ - Antoine –Theodore Lamy recueil de souvenirs moraux et religieux d' un vieux soldat a ses petits enfants. Paris : imprimerie Adrien le clere ,1869 p96

¹⁶ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ص396

¹⁷ نفس المرجع والصفحة

¹⁸ أبو القاسم، سعد الله، المرجع نفسه ص 397

¹⁹ - Yvone Turin Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale écoles medcins ,religion 1830-1880. éditions houma, 2003 p4

²⁰ - Ibid p 277

²¹ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 . ص 397

²² - Ibid, p 55

²³ نفس المرجع والصفحة

²⁴ - Gaston Guedj. Op,Cit, p 55

²⁵ - Turin. Op,Cit, p 278

²⁶ - Klein . Op,Cit, p67

²⁷ - Gaston Guedj. Op,Cit, p. 44

²⁸ التلمود إسم عبري مشتق من (لامود) أي تعاليم أو مايسمى تورا شيبيل ليه (التورا الشفهي) وقد أطلق هذا الأسم على مادونت فيه الأسفار الشفهية أو السرية مع شروحها والتعليقات عليها أنظر في ذلك الأرقم الزعبي حقائق عن اليهودية ص 41 وهو بصورة عامة هو سجل الشرائع والتقاليد والأدعية الدينية والشروح كانوا يتناقلونه شفاهة ... ويقال أن أول من جمعه في كتاب هو الحاخام يوحناس وقد سماه المشنا (المتن) تعني الدرر أو الشريعة مجموعة تعاليم وقوانين دينية ومدنية كالصلاة الدعاء الأعياد السبوت المواسم الأحوال الشخصية (زواج طلاق ميراث..) الذبح الختان الطهارة المشنا جمعه يهوذا هاناسي فيما بين 190 و 200 م معناها بالعبرية المعرفة أو القانون الثاني فيزعم اليهود أنه أنزل على موسى في طور سيناء ثم زيدت عليه في القرون اللاحقة متون وحواشي وشروح كثيرة بما يعرف بالجمارا (الشرح) بكسر الميم معناها الإكمال فإثنان أورشليمي وبابلي الأولى سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين أوبالاحص علماء مدرسة طبرية لشرح أصول المشنا ويرجع تاريخ جمعه إلى عام 400 م والثانية هو سجل المسائل والمناقشات حول تعاليم المشنا درسها علماء بابل وإنتهو من جمعه 500 م تقريبا جملة أحاديث وروايات مسموعة من كبار

الحاخامات على مدى أجيال متعددة ولهذا فإن الجمارا تفسر المشنا كما تفسر المشنا التوراة وتحتوي الجمارا أيضا على خلاصة الأبحاث والدراسات والمجادلات وتكاد تكون الجمارا موسوعة تشمل كل حياة اليهود بأدق تفصيلاتها هناك تلمود بابلي كتوراة البابلية و بلغة آرامية شرقية (العراق) وهو أكبر بأربعة أضعاف من الثاني والذي هو تلمود أورشليمي كالتوراة الأورشليمية بلغة آرامية غربية (أرامية سوريا) وفيها مصطلحات وأفراض يونانية ولاتينية والتلمود الحالي يبلغ 36 مجلد أول طبعة له ظهرت في البندقية منذ 1520

أنظر داوود عبد العفو سنقراط جذور الفكر اليهودي ص 91 و92 و93 و ظفر الإسلام خان التلمود تاريخه وتعاليمه ص 11 و12

²⁹ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ص 402

³⁰ - Klein . Op,Cit, p 67

³¹ - Gaston Guedj. Op,Cit, p55

³² - Messaouda _ Merabet Yahiaoui . Op,Cit, p175

³³ - Turin. Op,Cit, p 277

³⁴ أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ص 402

³⁵ نفس المرجع والصفحة

³⁶ عبد النور خيثر يهود الجزائر 1870 . 1962 ، مذكرة رسالة جامعية لنيل شهادة المحستير في

التاريخ الحديث والمعاصر معهد التاريخ جامعة الجزائر السنة الجامعية 1998 . 1999 ص 58

³⁷-Youssef Courbage – Philippe Fargues chrétiens et juifs dans l'islam arabe et turc . libraire arthème fayard, 1992 p 117

³⁸ أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول القسم الأول ص 389

³⁹ - Cohen Op,Cit, p 13

⁴⁰ - Houdas Ethnographie de l'Algérie . Paris : maison neuve frères et Leclerc édition, 1886 p72

⁴¹ - Houdas Op,Cit, p72

- ⁴² ((لقد كانوا الوسطاء الوحيدين لنا مع المسلمين)) حسب ما يذكر هوداس
- ⁴³ - Houdas Op,Cit, p72
- ⁴⁴ ناصر الدين، سعيدوني ((يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية.)) مجلة الثقافة ، السنة الثالثة عشر، عدد 77 ، سبتمبر أكتوبر 1983 ، ص ص 107 . 118 ص 109
- ⁴⁵ Marcel Cohen le parler arabe des juifs d'Alger. Paris : librairie ancienne H champion éditeur, 1912 p11
- ⁴⁶ - Ibid , p 11
- ⁴⁷ وفي هذا الخصوص نذكر ما أورده المؤرخ اليهودي أندري شورافي الذي يعود أصله إلى الجزائر حيث يذكر أن باناثان تعلم العربية الفصحى في تلمسان وأصبح يعرفها كالعبرية الإنجليزية أو الأرامية التلمودية أولاده لا يعرفون إلا الفرنسية التي تعلموها في روضة الأطفال التي تسيروها الأخوات المسيحيات وفي المدرسة الابتدائية ، الوحيد من أبنائه القادر على قراءة هذه اللغة (اليهودية العربية لأبراهام ماير) هو مخلوف ناثنان المولود في 1883 أنظر chouraqui chronique de baba p 22
- ⁴⁸ Ibid p10
- ⁴⁹ Cohen Op,Cit, p11
- ⁵⁰ - Emmanuel SIVAN stéréotypes antijuifs dans la mentalité Pied- noir p 160-172 Institut d Histoire des Pays d Outre Mer les relations entre juifs et musulmans en Afrique du nord 19-20 siècles éditions du centre national de la recherche scientifique Paris 1978 p161
- ⁵¹ Cohen Op,Cit, p11
- ⁵² - Ibid p10
- ⁵³ - Laloum. Op,Cit, p94
- ⁵⁴ - Cohen Op,Cit, p10
- ⁵⁵ ناصر الدين ، سعيدوني ، المقال الأنف الذكر ص110

56 - Klein . Op,Cit, p 67

⁵⁷ بعض الشخصيات التي لعبت دورا بارزا من اليهود ومنهم آل روتشيلد ففي سنة 1750 حل في مدينة فرانكفورت بألمانيا صانع يهودي يدعى أمشيل موشي باور بعد أن أمهكه التجوال في بلدان أوروبا الشرقية ولقد علق هذا على باب متجره درعا أحمرًا roth schield رمزا لمهنته وبهذا عرف بلقب روتشيلد وكان له ولد ذكي يدعى ماير توفي عنه والده عندما كان عمره أحد عشر عاما بعد أن كان دربه على أعماله المختلفة وحين بلغ ماير مبلغ الشباب جمع مالا وفيرا إستطاع أن يضع الأساس المتين لأسرة الدرغ الأحمر روتشيلد المالية المشهورة توفي ماير سنة 1812 مخلفا ورائه خمسة أولاد كان قد درهم كما دربه والده ليصبحوا جهاذة الذهب والمال في أوروبا كلها وكان ناثن أقدر هؤلاء الأولاد وأذكاهم إذ إستطاع وهو في شرح الشباب أن يجعل من نفسه ومن إخوته ملوكا للمال والأعمال في أوروبا كلها وأن يساهم إلى حد كبير في مجريات الأحداث فيها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم سنقراط أبناء يهودا في الخفاء اليهود في المعسكر الغربي ص 14

58 - Klein . Op,Cit, p 67

59 Sivan. Op,Cit, p161

60 - Courbage - (Ph) Fargues. Op,Cit, p 115

⁶¹ أكبر أعمال كريميو كانت مرسوم التجنيس لليهود الأهالي وإنشاء التحالف الإسرائيلي العالمي كل يهودي يمكن أن يصبح عضو في التحالف يدفع إشتراك سنوي ب6 فرنكات هو مرؤوس من لجنة مركزية مكونة من 60 عضو والمقر باريس متصل مباشرة باللجان الجهوية أوالمحلية أعضائه معينين لمدة 9 سنوات متجددة بالثلث كل 3سنوات كل سنة ينتخبون مكتب مكون من رئيس ونائبين أمين مال أمين عام يكفي 10أعضاء لإنشاء لجنة محلية اللجان الجهوية يمكن أن تنشأ في أي مكان حيث تكثر لجان محلية والكل يتواصل مع المركزية في كل مايبهم المجتمع أعضائه المنخرطين هم حاليا 30ألف مداخيل الجمعية غير محدودة

Georges Meynie les juifs en Algerie P 116

⁶² ناصر الدين ، سعيدوني ، المقال الأنف الذكر ص110

63 - Laloum. Op,Cit, p119

⁶⁴ – Jean-Claude Lasary, Claude Tapia les juifs du Maghreb diasporas contemporaines . (Quebec) Canada : les presses de l'université de Montréal, Paris: l'hrmattan 1989 p24

⁶⁵ ناصر الدين ، سعيدوني ، المقال الأنف الذكر ص 109

⁶⁶ عبد النور خيثر يهود الجزائر 1870 . 1962 ص 6